ثم دخلَتْ سنةُ ست عشرة وست مئة

ففي أوَّل المُحَرَّم ـ وقيل في سابع المحرَّم ـ أخرب المُعَظَّم أبراجَ القُدْس وسوره خوفاً من استيلاء الفرنج عليه، فاضطربَ النَّاس، وخرجوا منه متفرِّقين في البلاد، وهانَ عليهم مفارقةُ ديارهم وضَياعُ أموالهم، وقد كان القُدْس يومئذٍ على أتمِّ الأحوال من العمارة، وكثرة السكان.

قال أبو المُظَفَّر: كان المُعَظَّم قد توجَّه إلى أخيه الكامل إلى دمياط، وبلغه أنَّ طائفةً من الفرنج على عَزْمِ القُدْس، فاتَّفق الأُمراء على خرابه، وقالوا: قد خلا الشَّام من العساكر، فلو أخذه الفرنج حكموا على الشَّام. وكان بالقُدْس أخوه العزيز عثمان، وعِزُّ الدِّين أيبك أستاذ الدار، فكتَبَ المُعَظَّم إليهما بخرابه، فتوقَّفا، وقالا: نحن نحفظه. فكتب إليهما المعظم: لو أخذوه لقتلوا كلَّ مَنْ فيه، وحكموا على دمشق وبلاد الشَّام، فألجأتِ الضَّرورةُ إلى خَرَابه، فشرعوا في السُّور أول يوم من المحرم، ووقع في البلد ضَجَّةٌ مثل يوم القيامة، وخَرَجَ النِّساءُ المخدَّرات والبنات، والشُّيوخ والعجائز، والشُّبَّان والصِّبيان إلى ١١٦
الصَّخْرة والأقصى، فقطَّعوا شُعُورهم، ومزَّقوا ثيابهم بحيثُ امتلأتِ الصَّخرةُ ومِحْرابُ الأقصى من الشُّعور، وخرجوا هاربين، وتركوا أموالهم وأثقالهم، وما شكُّوا أنَّ الفرنج تصبِّحهم، وامتلأتْ بهم الطُّرقات، فبعضهم إلى مِصْر، وبعضهم إلى الكَرَك، وبعضهم إلى دمشق، وكانت البنات المخدَّرات يمزِّقْنَ ثيابَهُنَّ، ويربطنها على أرجلهن من الحفا، وماتَ خَلْقٌ كثير من الجوع والعَطَش، وكانت نوبةٌ لم يكن في الإسلام مثلها، ونُهبتِ الأموالُ التي كانت لهم في القُدْس، وبلغ قنطار الزّيت عشرة دراهم، ورطل النحاس نصف دِرْهم، وأكثرَ الشعراءُ في ذم دولة المعظم، ودعوا عليها، فقال بعضهم:

فـي رَجَـبٍ حَـلَّـلَ الـمُـحـرَّمْ وخَـرَّبَ الـقُـدْسَ فـي الـمُـحَـرَّمْ[1]

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٦ هـ)، وكان المعظم قد رد المكوس والخمور، انظر ص ٣٠٨ من هذا الجزء.

قال: وأنشدني قاضي الطُّور مجدُ الدِّين محمد بن عبد الله الحَنَفي لنفسه:

مَرَرْتُ على القُدْسِ الشَّريفِ مُسَلِّماً ... على ما تبقَّى مِنْ رُبوعٍ كأَنْجُمِ
ففاضَتْ دموعُ العينِ منِّي صَبَابةً ... على ما مضى مِنْ عَصْرنا المتقدِّمِ
وقد رامَ عِلْجٌ أنْ يُعَفِّي رُسُومَهُ ... وشَمَّرَ عن كَفَّيْ لئيمٍ مُذَمَّمِ
فقلتُ لهُ شَلَّتْ يمينُك خَلِّها ... لِمُعْتَبِرٍ أو سائلٍ أو مُسَلِّمِ
فلو كان يُفْدى بالنُّفوسِ فَدَيْتُهُ ... بنفسي وهذا الظَّنُّ في كلِّ مُسْلِمِ[1]

وفيها نفى الملكُ المُعَظَّم الأميرَ عمادَ الدِّين بن المَشْطُوب من مِصْر إلى الشَّرْق، وكان قد اتَّفَقَ مع الملك الفائز بن العادل على أخيه الملك الكامل، واستحلف للفائز العساكر، وعَرَفَ الكاملَ، فَرَحَلَ إلى أُشمون، وعَزَمَ على التوجُّه إلى اليمن، ويئس من البلاد، وعَلِمَ أخوهما المعظم، فقال الكامل: لا بأس. وركب آخر النهار، وجاء إلى خيمة ابن المشطوب، وقال: قولوا لعماد الدِّين يركب حتى نسير. فأخبروه، فخرج من الخيمة بغير صباغات، ولَحِقَ المُعَظَّم، فأبعدَ به عن العَسْكر، وقال له: أخي الملك الأشرف قد طلبك، وهو محتاجٌ إليك، فتسير إليه السَّاعة. فقال: ما في رجليَّ صباغات، ولا معي أحدٌ من غِلْماني ولا قُماشي. فَوَكَلَ به جماعةً، وأعطاه خمس مئة دينار، وقال: كلُّ مالِكَ يَلْحَقُك، والله ما يضيعُ لك خيطٌ واحد. وسار به الموكَّلون، ورَجَعَ المعظم إلى خيمته، فوقف حتى جهز خيله وغلمانه، وثَقَله، وساروا خلفه، وعاد المعظم إلى خيمته، وجاء إليه الكامل، فَقَبَّل الأرضَ بين يديه، وخاف الفائز خوفاً عظيماً.

وأما ابنُ المَشْطوب، فاجتازَ بدمشق، ومضى إلى حماة، فأقام بها، فبعث إليه الأشرف منشوراً بأَرْجيش من بلاد خِلاط مع الخِلَع، فسار إلى الأشرف،

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٦هـ).

فأكرمه وأحسنَ إليه، فصار يركب بالشَّبابة، ويعمل له سلطنة أعظم من الأشرف، وتجبَّر وطغى وبغى، وخامر على الأشرف، وكاتَبَ صاحبَ الرُّوم، فبعث له مئة ألف وأربعين ألف دِرْهم، وطلع إلى مارِدِين، ثم قَصَدَ ناحية سِنْجار، ثم جَرَى عليه ما سنذكره[1] إلى أن مات في حبس الأشرف بحرَّان هو وابن خشترين الأزكجي.

وفيها في سَحَر يوم الثّلاثاء الخامس والعشرين من شعبان استولى الفرنج ـ لعنهم الله ـ على دِمْياط، وكان المُعَظَّم قد جَهَّز إليها ابنَ الجرخي النَّاهض في خمس مئة راجل، فهجموا على الخنادق، فَقُتِلَ ابنُ الجَرْخي وَمَنْ كان معه، وصَفُّوا رؤوس القتلى على الخنادق، وكانوا قد طمُّوا الخنادق، وضَعُفَ أهلُ دِمْياط، ووقع فيهم الوباء والفناء، وعَجَزَ الكاملُ عن نُصْرتهم، فراسلوا الفرنج ١١٧
على أن يُسَلِّموا إليهم البلد، ويخرجوا منه بأهاليهم وأموالهم، واجتمع الأقساء، وأحلفوهم على ذلك، فركبوا في المراكب، وزحفوا في البحر والبر، وفَتَحَ لهم أهلُ دِمْياط الأبوابَ، فدخلوا، ورفعوا أعلامهم على السُّور، وغدروا بأهلها، ووضعوا فيهم السيف قتلاً وأسراً، وباتوا تلك الليلة يَفْجُرون بالنِّساء، وأخذوا المنبر ـ وكان من أبنوس ـ والمصاحف، ورؤوس القتلى، وبعثوا بها إلى الجزائر، وجعلوا الجامع كنيسةً.

وكان الشيخ أبو الحسن بن قُفْل بدمياط، فَسَلَّمه الله تعالى منهم، فسألوا عنه، فقيل: هذا رجلٌ صالح من مشايخ المسلمين، يأوي إليه الفقراء. فما تعرَّضوا له، وقد رأيتُهُ أنا بعد ذلك بثغر دمياط في سنة ثمانٍ وعشرين وست مئة، وهو يحكي للنَّاس صورةَ ما جرى على البلد من الفرنج[2]، خذلهم الله تعالى.

---

(١) انظر ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ من هذا الجزء.

(٢) ذكر ابن دقماق في «نزهة الأنام» ١٩٠ أبا الحسن بن قفل، وذكر أن وفاته سنة (٦٤٧ هـ)، وقال: ومولده سنة خمس أو ست وخمس مئة!

قلت: لا يفهم من كلام أبي شامة أنه كان من المعمرين، فالله أعلم.

ووقع على المسلمين كآبةٌ عظيمة، وبكى الكامل والمعظم بكاء شديداً، ثم تأخرتِ العساكر عن تلك المنزلة، ثم قال الكامل للمُعَظَّم لمَّا رأى أعلامَ الفرنج على دمياط، وقد سُقِط في يده: قد فاتَ ما ذُبِحَ، وجرى القَدَرُ بما هو كائن، وما في مقامك هنا فائدة، والمصلحة أن تنزِلَ إلى الشَّام تشغل خواطر الفرنج، وتستجلِبَ العساكرَ من الشَّرْق.

قال أبو المظفر سِبْط ابن الجوزي: فكتَبَ إليَّ المُعَظَّمُ وأنا بدمشق: قد جرى على دمياط ما جرى، وأريد أن تحرِّضَ النَّاسَ على الجهاد، فإني كَشَفْتُ ضِيَاع الشَّام، فوجدتُها ألفي قرية: منها ألف وست مئة أملاك لأهلها، وأربع مئة سُلْطانية، وكم مقدار ما تقوم هذه الأربع مئة من العساكر! وأريد أن يخرج الدماشقة ليذبُّوا عن أملاكهم. فجلستُ بجامع دمشق، وقرأت كتابه عليهم، فتقاعدوا، فكان تقاعُدُهُمْ سبباً لأخذه الثُّمْن والخُمْس من أموالهم، وكتب إليَّ: إذا لم يخرجوا، فَسِرْ أنتَ إلينا. فخرجتُ إلى السَّاحل، وهو نازِلٌ على قيسارية، فأقمنا حتى فتحَها عَنْوَةً، ثم سرنا إلى الثغر، ففتحه، وهدمه، وعاد إلى دمشق[1].

وفيها في يوم الأربعاء السَّابع والعشرين من شهر ربيعٍ الأول ألبسَ المُعَظَّمُ قاضي القُضَاة زكيَّ الدِّين أبا العَبَّاس الطَّاهر بن محيي الدِّين القَبَاء والكلوتة بمجلس الحُكْم من داره بباب البريد.

قال أبو المظفر: كان في قلبه منه حَزَازاتٌ كان يمنعه من إظهارها حياؤه من والده العادل، وخوفه من الشَّناعات، وكان يشكو إليَّ من القاضي مراراً، ويقول: إنه لا ينفِّذُ الأحكام، ولا يقيمُ معالمَ الإسلام. واتَّفقَ موتُ العادلِ ومَرَضُ أُخته سِتِّ الشَّام عمَّةِ المُعَظَّم، وكانت قد أوصتْ بدارِها مدرسةً، وأحضرتِ القاضي الزَّكيَّ والشُّهود، وأشهدتهم عليها، وأوصَتْ إلى القاضي. وبلغَ المعظم، فَعَزَّ

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٦ هـ).

عليه، وقال: يحضُرُ إلى دارِ عَمَّتي من غير إذْني، ويسمعُ كلامَها هو والشُّهود! ثم اتفق أنَّ القاضي أحضر جابي المدرسة العزيزيَّة، وطلبَ منه حِسَابَها، فأغلظَ له في القول، فأمر بضَرْبه، فَضُرِبَ بين يديه كما يفعلُ الولاة، فوَجَدَ المُعَظَّمُ سبيلاً إلى إظهار ما كان في نفسه، وكان الجمالُ المِصْري وكيلُ بيتِ المال عدوّاً للقاضي، فجاء، فجلس عند القاضي في مجلس الحكْمْ، والشهودُ حاضرون والنَّاسُ، فبعث المُعَظَّمُ بقجةً فيها قَبَاء وكلوتة، وأمره أَنْ يَحْكُمَ بين النَّاس وهما عليه، فقامَ مِنْ خوفه فلبسهما، وحَكَمَ بين اثنين[1].

١١٨ قلتُ: جابي المدرسة المضروب هو السَّديد، خطيبُ عقربا، واسمه سالم بنُ عبد الرَّزَّاق بن يحيى بن عمر بن كامل أخو الجمال والمؤَيَّد العقرباني، وكانت الخِلْعةُ إشارةً إلى أنك تفعل فِعْلَ والي الشرطة، فالبِسْ لُبْسَ مَنْ يفعلُ ذلك. وسمعتُ الذي ألبسه الخِلْعة ـ وهو بعضُ أجنادِ الأمير عماد الدين بن موسك يعرف بالشَّمْس صادق ـ عقيبَ إلباسه إياها في ذلك اليوم، فإنَّه دخل الجامع، وجاء يسلِّم على شيخنا عَلَم الدِّين السَّخاوي رحمه الله، وحدثَّه بالقضيَّة، فتأوَّه الشيخُ، وضَرَبَ بإحدى يديه على الأُخرى، وكان مما حكى أَنْ قال: أمرني السُّلْطان أَنْ أقولَ له: السُّلْطان يسلِّمُ عليك، ويقول لك: الخليفةُ ـ سلام الله عليه ـ إذا أراد أَنْ يُشَرِّفَ أحداً من أصحابه خَلَعَ عليه من ملابيسه، ونحن نسلك طريقه، وقد أرسل إليك من ملابيسه، وأمر أَنْ تَلْبَسَها في مجلسك هذا وأنت تحكم بين النَّاس ـ وكان المعظم أكثرَ ما يَلْبَس قَبَاء أبيضَ وكلوتة صَفْراء ـ قال: وفتحت البقجة، فلمَّا نَظَرَ إليها وَجَمَ، فأعدْتُ الكلامَ بأن يَلْبَسَها، وأمرته بتَرْكِ التوقُّفِ في ذلك، وكنتُ قد أُمرت بأن أُلبسه إيَّاها بيدي إنِ امتنعَ أو توقَّفَ، فمدَّ يده، ووضَعَ القَبَاء على كتفيه، ونزعَ عِمامته، ووضَعَ الكلوتة على رأسه، ثم قام، ودخل بيته.

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٦هـ)

قلتُ: ومِنْ لُطْفِ الله تعالى أنْ كان مجلسُ الحُكْمِ في داره، وإلا ـ والعياذ بالله ـ لو كان في مكانٍ آخر لتكلَّفَ المرورَ في الطُّرُقات بذلك الزِّي الشَّنيع في حقِّ مثلِهِ إلى بيته، اللهم عَفْوَك وعافيتَك.

ثم إنَّ القاضي لَزِمَ بيته بعدها، ولم تَطُلْ مُدَّةُ حياته، فَمَرِضَ مرضةً رمى كبدَه منها قِطَعاً، وماتَ في الثَّالث والعشرين من صَفَر سنةَ سبعَ عشرة وست مئة، ودفن في مقبرة أبيه بالجبل[1]، وتأسَّفَ النَّاس لما جرى عليه. وكان ـ رحمه الله ـ يحبُّ أهل الخير، ويزور الصَّالحين في أماكنهم، «والمرءُ مع مَنْ أحبَّ»[2].

وقد ذكره القُوصي في «معجمه»، وقال: كان متورِّعاً، متثبتاً، ناظراً في مصالح اليتامى:

وإذا رأيتَ أسى امرئٍ أو صَبْرَهُ يوماً فقد عايَنْتَ صُورةَ عَقْلِهِ

ولم يخرج عن الرِّضا والتَّسليم في حالتَيْ ولايته وعَزْله رحمه الله، وبقي نوابُهُ يحكمون بين النَّاس، منهم شمسُ الدِّين بن الشِّيرازي، وكان يجلس بالجامع في حافة الرِّواق الملاصق لخزانة الزيت موضع المقصورة الغربية، وتارةً يجلس في شُبَّاك مشهد عليّ رضي الله عنه، ومنهم شمسُ الدِّين بن سني الدولة، وكان يجلس بشُبَّاك الكلَّاسة المحاذي للتُّرْبة الصَّلاحية، ومنهم شَرَفُ الدِّين المَوْصِلي الحنفي بالمدرسة الطرخانية بجيرون، ثم بعد مديدة انضاف

---

(١) ذكر أبو شامة ص ١٢٤ من هذا الجزء. أنه عاش كأبيه ثمانياً وأربعين سنة.
وله ترجمة في مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٦ هـ)، والتكملة للمنذري: ٣/ ٨ ـ ٩، تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني: ٢٥٠ ـ ٢٥١، تاريخ الإسلام (ت ٤٥١، وفيات سنة ٦١٧هـ)، الوافي بالوفيات: ١٦/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ١٥٣ ـ ١٥٤، قضاة الشافعية للنعيمي: ٥٥ ـ ٥٩، شذرات الذهب: ٥/ ٧٣.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٦٨) ومسلم (٢٦٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو في مسند الإمام أحمد (٣٧١٨).

إليهم الجمال المِصْري، فكان يجلسُ بالشُّبَّاك الكمالي؛ وهو الذي يُصَلِّي فيه القُضَاة الجُمَع في هذه الأزمان.

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: وكانت حركة شنيعة، وواقعة قبيحة، لم يجرِ في الإسلام أقبح منها، وكانت من غَلَطات المعظَّم، ولقد قلتُ له: ما فعلتَ إلا بصاحب الشَّرْع، ولقد وَجَبَتْ عليك دِيَةُ القاضي. فقال: هو الذي أحوجني إلى هذا، ولقد نَدِمْتُ[1].

واتفق أنَّ المُعَظَّم بعثَ إلى الشَّرَف ابن عُنين الشَّاعر حين تزهَّد خمراً ونَرْداً، وقال: سَبِّحْ بهذا، إشارةً إلى أن زُهْدَه ليس له صِحَّة، فكتَبَ إليه ابنُ عُنين:

يا أيُّها الملكُ المُعَظَّم سُنَّةٌ أَحْدَثْتَهَا تبقى على الآبادِ
تجري الملوكُ على طريقِكَ بعدَها خَلْعُ القُضَاةِ وتُحْفَةُ الزُّهَّادِ[2]

١١٩ قلتُ[3]: وأخبرني الشَّرف بنُ كلاب، قال: كنتُ حاضراً ذلك المجلس، وكان القَبَاء والكلوتة لوناً واحداً أحمر ملطي، ومن أعجب الأمور أنَّ الذي أتاه بالخِلْعة طلبَ من غِلْمان القاضي ما جَرَتْ به العادة مِنْ إعطاء مَنْ يأتي بخِلْعة سُلْطانية إلى حاكمٍ أو غيره، فأخرجوا له من دار القاضي خمسين دِرْهماً، ومازال قاعداً على باب القاضي بعد دخوله بالخِلْعة حتى أخرجوا له الدَّراهم، فَقَبَضَها.

وحجَّ بالنَّاسِ في هذه السنة من العراق أقباش الناصري. ومن الشَّام مملوك المعظم يقال له شقيفات.

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦١٦ هـ).

(٢) المصدر السالف، وانظر «ديوان ابن عنين»: ص ٩٣.

(٣) في (ك) و(س): قال، والمثبت من الأصل و(ع)، والخبر ليس في (ب)، وفي النفس من نسبة هذا الخبر إلى أبي شامة شيء. والله أعلم.

وفي هذه السنة حَجَّ والدي رحمه الله، وأبو المُظَفَّر سِبْط ابن الجَوْزي، وعِزُّ الدين بن القَيْسَراني، والصَّفي بن مرزوق.

وفيها توفي الشَّيخ أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب، البغدادي، الملقَّب بالرَّبيب[١].

سمع الكثير ببغداد من أبي الوقت، وأبي الفَضْل الأرموي، وأبي الكرم بن الشَّهْرزوري وغيرهم. وسكن دمشق، وأسمع بها الكثير، وتوفي بها في جُمادى الآخرة، ودفن بجبل قاسيون، وكان أحدَ الوكلاء بمجلس الحكم، سمعتُ عليه «صحيح البخاري»، وغيره، وكان ثِقَةً متحرِّزاً[٢]، وولد ببغداد في منتصف المحرَّم سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة[٢].

وفيها في ذي القعدة توفيت بدمشق سِتُّ الشَّام بنت أيوب بن شاذي[٣].

أختُ الملوكِ صلاح الدين والعادل[٤] وغيرهما من بني أيوب بن شاذي، وكانت شقيقة المعظم تُورانشاه بن أيوب.

---

(١) له ترجمة في التكملة للمنذري: ٢/ ٤٧١ ـ ٤٧٢، بغية الطلب: ٧/ ٣٤٣٥ ـ ٣٤٣٧، مشيخة ابن البخاري: ٢٧٠ ـ ٢٨٤، تاريخ الإسلام (ت ٣٥٨، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٩٠ ـ ٩١، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ٦٢ ـ ٦٣، الوافي بالوفيات: ١٣/ ٤٥٨، غاية النهاية: ١/ ٢٧٨، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٤٦، شذرات الذهب: ٥/ ٦٧.
وقد أعيدت ترجمته في (ك) و(ع) و(س)، وفيها زيادات، وستأتي ص ٣٢٦ من هذا الجزء.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (ب) و(ك) و(ع) و(س).

(٣) لها ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٨٥، وفيات الأعيان: ٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥، تاريخ الإسلام (ت ٣٦٣، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٧٨ ـ ٧٩، العبر للذهبي: ٥/ ٦١، الوافي بالوفيات: ١٥/ ١١٩ ـ ١٢٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، شفاء القلوب: ٢٢٩ ـ ٢٣٠، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٤٦، الدارس: ١/ ٢٧٧ ـ ٣١٣، شذرات الذهب: ٥/ ٦٧، منادمة الأطلال: ١٠٤ ـ ١٠٩.

(٤) في (ك) و(ع) و(س) زيادة: ذكر الحافظ زكي الدين أنها توفيت في سادس عشر ذي القعدة من السنة، وزاد غيره: آخر نهار الجمعة. =

وهي التي تنسب إليها المدرستان بدمشق: إحداهما قِبْلي البيمارَسْتان النُّوري، والأخرى ظاهر دمشق بمحلة العُوَيْنة، وتعرف أيضاً بالحسامية، نسبةً إلى ابنها حسام الدين بن لاجِين، وكانت دفنته بها، ودفنت هي في القبر الذي هو فيه؛ وهو الذي يلي باب القبو من القبور الثلاثة، والقِبْلي هو قبرُ أخيها تورانشاه المذكور، والأوسط قبرُ ابنِ عمِّها ناصر الدين محمد بن شِيركُوه بن شاذي، وكان تزوَّجها بعد لاجِيْن.

قال أبو المُظَفَّر سبط ابن الجوزي: كانت سيِّدةَ الخواتين، عاقلة، كثيرةَ البِرِّ والصِّلات، والإحسان والصَّدَقات، وكان يُعْمَل في دارِها من الأشربة والمعاجين والعقاقير في كلِّ سنة بألوفٍ من الدنانير، وتفرِّقُها على النَّاس. وكان بابها ملجأ للقاصدين، ومفزعاً للمكروبين، ووقفتْ على المدرستين أوقافاً كثيرة، وكانت لها جِنَازةٌ عظيمة[1].

قلتُ: والملوك بنو أيوب إلى آخر مَنْ ولي منهم السَّلْطنة في بلدٍ من البلاد المشهورة كلُّهم محارمها، لأنهم إما إخوتها، وإما بنو إخوتها، وهم إلى الآن نحو خمسة وثلاثين ملكاً، إخوتها الأربعة: المُعَظَّم، وصلاح الدين، والعادل، وسيف الإسلام، وأولاد صلاح: العزيز، ثم ابنه المنصور، والأفضل، والزَّاهر، والظَّاهر، وابنه العزيز، وابن ابنه النَّاصر يوسف، وأولاد العادل: الكامل، وأولاده الثلاثة المسعود، والصَّالح، والعادل، وأبناء الصَّالح المُعَظَّم المقتول بمصر، والموحّد صاحب الحِصْن[2]، وابن العادل بن الكامل المغيث صاحب الكَرَك الآن. والمُعَظَّم بن العادل الأكبر، وابنه النَّاصر داود. والأشرف بن العادل، والصَّالح بن العادل، والأوحد، والحافظ، والعزيز، وابنه السَّعيد،

= قلت: وهذه الزيادة ليست من أبي شامة، بل هي من قارئ للكتاب، والدليل على ذلك أن إحدى هذه الزيادات عن المنذري فيها رد على أبي شامة، انظر ص ٣٣٣ من هذا الجزء.

(١) مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ).

(٢) يفهم من سياق أبي شامة أن الموحد هو ابن الصالح بن الكامل، وقد ذكر الذهبي أن الموحد عبد الله هو ابن المعظم بن الصالح بن الكامل، وهو الأشبه، انظر «ترويح القلوب» ٦٥ .

وشهاب الدِّين غازي؛ وابنه الكامل محمد، وابن سيف الإسلام إسماعيل الذي ادَّعى الخلافة باليمن، وفَرُّخْشاه ابن شاهنشاه بن أيوب، وابنه الأمجد صاحب بعلبك، وتقي الدين، وابنه المنصور، ثم ذريته ملوك حماة إلى اليوم[١].

وفيها في ربيع الآخر توفي ببغداد الشيخ أبو البقاء العُكْبَراوي[٢] الضرير، النَّحْوي، الحنبلي، واسمه عبد الله بن الحسين بن عبد الله.

ولد سنةَ ثمانٍ وثلاثين وخمس مئة، وقرأ القرآن على أبي الحسن البطائحي، والنحو على أبي محمد بن الخَشَّاب، واللغة على ابن العَصَّار، وسمع الحديث منهم ومن غيرهم، وقرأ الفِقْه والأصولين، وصنف عِدَّة مصنَّفات، منها «إعراب القرآن»، و«اللباب في النحو»[٣]، وحواشي على «المقامات»، و«ديوان المتنبي»[٤]، و«مفصَّل الزَّمَخْشَري»، و«مقدِّمات في ١٢٠

(١) يعني سنة (٦٥٩ هـ) كما ذكر أبو شامة مراراً.

(٢) له ترجمة في معجم البلدان: ٤/ ١٤٢، الكامل: ١٢/ ٣٥٧، إنباه الرواة: ٢/ ١١٦ ـ ١١٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٦١، وفيات الأعيان: ٣/ ١٠٠ ـ ١٠٢، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٢٤، تاريخ الإسلام (ت ٣٧٠، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٩١ ـ ٩٣، العبر للذهبي: ٥/ ٦١، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ١٤٠ ـ ١٤٢، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٢٦٥ ـ ٢٦٧، الوافي بالوفيات: ١٧/ ١٣٩ ـ ١٤٢، نكت الهميان: ١٧٨ ـ ١٨٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ١٠٩ ـ ١٢٠، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٤٦، المقصد الأرشد: ٢/ ٣٠، بغية الوعاة: ٢/ ٣٨ ـ ٤٠، المنهج الأحمد: ٤/ ١٣٠ ـ ١٣٦، شذرات الذهب: ٥/ ٦٧ ـ ٦٩.

وللدكتور يحيى ميرعلم دراسة في سيرته ومصنفاته، نشرتها دار العروبة في الكويت ١٩٩٣م.

(٣) هو «اللباب في علل البناء والإعراب»، مازال مخطوطاً، لم ينشر بعد.

(٤) ذهب العلامة مصطفى جواد في حاشيته على المختصر المحتاج إليه: ٢/ ١٤١ إلى أن شرح ديوان المتنبي قد نسب إليه خطأ، وهو لعفيف الدين علي بن عدلان الموصلي، المتوفى سنة (٦٦٦ هـ)، وكان ابن عدلان من تلامذته، وقد طبع هذا الشرح باسم «التبيان في شرح الديوان»، وقد أقام البرهان على ذلك في مقال نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٢٢، الجزء الأول: ٣٧ ـ ٤٧، والجزء الثاني: ١١٠ ـ ١٢٠.

النَّحْو»، و«الحساب»، وغير ذلك، ودفن بباب حَرْب رحمه الله، وكان صالحاً دَيِّناً.

وفيها توفي بحلب الشَّريف افتخار الدِّين، عبد المطلب بن الفَضْل العلوي البَلْخي[١]، المدرِّس بمدرسة الحلاويين.

كان عارفاً بمذهب أبي حنيفة، وشَرَح «الجامع الكبير»، وغيره، وكان يروي كتاب «الشَّمائل» للتِّرْمِذِي وغيره، وكان سَيِّداً، فاضلاً، ورعاً، دَيِّناً.

وفيها توفي ببغداد عمادُ الدِّين عليُّ[٢] بن الحافظ أبي محمد القاسم ابن الحافظ الكبير أبي القاسم علي ابن الحسن العساكري.

قَدِمَ بغداد، وسَمِعَ بها، ثم توجَّه إلى خُرَاسان، وسَمِعَ بها، واستجاز لطائفةٍ كثيرة من الدِّمشقيين وغيرهم، ولعموم مَنْ أدرك ذلك الوقت مِنْ جميعِ مَنِ اجتمعَ به من مشايخ تلك البلاد ـ شَكَرَ الله سعيه ـ ثم عاد إلى بغداد، فوقع عليه قُطَّاع الطَّريق، فأخذوا ما كان معه، وجرحوه، فأقام ببغداد يعالج الجِرَاحات، فماتَ بها يوم السبت ثالث جُمادى الآخرة، ودُفِنَ بالشُّونيزية[٣] رحمه الله، ومولده في ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمس مئة[٣]، وخلَّف ولدين ماتا

(١) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٣٥٧، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، تاريخ الإسلام (ت ٣٨٤، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٩٩ ـ ١٠٠، العبر للذهبي: ٥/ ٦٢، الجواهر المضية: ٢/ ٤٦٧، تاج التراجم: ١٣٠ ـ ١٣١، الطبقات السنية: ٤/ ٣٨٩، إعلام النبلاء للطباخ: ٢/ ٦٤ ـ ٦٥.

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٣٥٧، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٢٤، تاريخ الإسلام (ت ٣٩٤، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦، العبر للذهبي: ٥/ ٦٢ ـ ٦٣، الوافي بالوفيات: ٢١/ ٣٩١، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٤٦، شذرات الذهب: ٥/ ٦٩ ـ ٧٠.
وسيعيد أبو شامة ذكره ص ٣٢٦ من هذا الجزء.

(٣ ـ ٣) ما بينهما ليس في (ب) و(ك) و(ع) و(س)، والمثبت من الأصل.

بعده، أحدهما المسمَّى باسمِ جَدِّه بهاء الدين القاسم، كان في صحبته، فرجع إلى دمشق بعد موت أبيه، والآخر أبو حامد الحسين، ولم يبق من نَسْله إلا ولدٌ صغير من ابنه الأصغر أبي حامد.

وفيها توفي ببغداد محمد بن جميل[١]، صاحب مخزن الخليفة، ومولده بهِيْت، وكان فاضلاً بارعاً.

وقدم علينا دمشق ابنُ ابنته، وهو شابٌّ فاضل يلقب فخر الدين، له خَطٌّ حسن، وصورةٌ جميلة، ونَزَلَ عندنا بالمدرسة العزيزية، ثم توجَّه إلى الحجاز مع جماعةٍ فضلاء: شرف الدِّين المرسي، ومحبّ الدِّين بن هلال، وشَرَف الدِّين بن الزَّيَّات، وفخر الدِّين بن المالكي وغيرهم، فجاوروا.

وفيها توفي صاحِبُ سِنْجار المنصور محمد بن عماد الدين زَنْكي بن مودود بن زَنْكي[٢].

وأبوه كان خَتَنَ نور الدين محمود بن زَنْكي على ابنته، وكان هذا المنصور ملكاً عادلاً، وهذا الذي حَصَرَه العادِلُ أبو بكر بن أيوب، ثم رَحَلَ عنه بشفاعة الخليفة الإمام النَّاصر، وخلَّف المنصور عِدَّةَ أولاد: سلطان شاه، وزَنْكي، ومُظَفَّر الدِّين وغيرهم، وحَجَّ بعضُهم معنا في سنة إحدى وعشرين وست مئة.

وفيها توفي محمد بن محمد بن محمود الكُشْمِيْهَني[٣]، وكان صالحاً

---

(١) له ترجمة في معجم البلدان: ٢/ ٩٧، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٧٣.

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١٢٢، تاريخ الإسلام (ت ٤٠٧، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، الوافي بالوفيات: ٣/ ٧٨، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٤٦، شذرات الذهب: ٥/ ٧٠.

(٣) له ترجمة في التكملة للمنذري: ٢/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦، تاريخ الإسلام (ت ٤١٦، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، الوافي بالوفيات: ١/ ٢١٢، واسمه عند المنذري والذهبي: محمد بن محمود بن محمد.

صاحِبَ مجاهدات ورياضات، وأوصى أن يكتب على كفنه هذا البيت طلباً لإصلاح حاله:

يكونُ أُجاجاً دونكُمْ فإذا انتهى إليكُمْ تَلَقَّى طِيْبَكُمْ[1] فَيَطِيْبُ[2]

وفيها توفي ببغداد في رمضان أبو زكريا يحيى بن القاسم بن المفرّج، التَّكْريتي[3].

ولي القضاء بتكريت، ثم ولي تدريس النِّظامية ببغداد، ودفن بالشُّونيزية، وكان فاضلاً، وأنشد أبو المُظَفَّر من شِعْره:

كَمْ يَأْمُلُ المَرْءُ آمالاً وتُخْلِفُهُ وكم يُرَى آمناً والموتُ يُرْدِفُهُ ١٢١

وطالما سَلَكَ الإنسانُ شاكلةً يظنُّ فيها نجاةً وَهْيَ تُتْلِفُهُ

وفي[4] هذه السنة كان [أول][5] ظهور التَّاتار خذلهم الله[4].

وفيها يوم الأحد ثاني شعبان توفي إمام المالكية بدمشق برهان الدين علي بن علوش بن عبد الله المغربي، ودُفِنَ بجبل قاسيون، وكان عالماً بالأصول

---

(١) في هامش الأصل: نَشْركم، نسخة.

(٢) قال الصفدي: وهذا البيت من أبيات مختلف فيها، والصحيح أنها للعباس بن الأحنف، والله أعلم.
قلتُ: هي في ديوانه: ص ٤٥ (ط. دار صادر) من جملة أبيات في غاية العذوبة، هي:

جرى السَّيْلُ فاستبكانيَ السَّيْلُ إذْ جرى وفاضت له من مقلتيَّ سُروبُ
وما ذاك إلا حيث أيقنت أنَّه يمرُّ بوادٍ أنتِ منه قريبُ
يكونُ أُجاجاً دونكُمْ فإذا انتهى إليكُمْ تَلَقَّى طِيْبَكُمْ فَيَطِيْبُ
أيا ساكني شرقي دِجْلةَ كلكم إلى النفس من أجل الحبيب حبيبُ

(٣) له ترجمة في معجم الأدباء: ٢٠/ ٢٩ ـ ٣٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ٤٧٨، تاريخ الإسلام (ت ٤٢٩، وفيات سنة ٦١٦ هـ)، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧، طبقات الشافعية للإسنوي: ١/ ٣١٣، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦١٦ هـ)، توضيح المشتبه: ٢/ ٥٢، بغية الوعاة: ٢/ ٣٣٩.

(٤ ـ ٤) ما بينهما ليس في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

والفروع والعربية، ونشأ له ابنٌ فاضل في عِلْم الطِّبِّ يُلَقَّب بناصر الدِّين منصور بن علي، توفي أيضاً وهو شابٌّ، رحمهما الله تعالى.

وفيها توفي في رجب تقي الدين عبد الرحمن بن أبي منصور بن نسيم بن الحسين بن علي المقدسي، أبو الوحش.

سمع الكثير من الشيخ الحافظ أبي القاسم ابن عساكر، وأكثرُ طِباق السَّماع عليه في الأجزاء وغيرها موجودةٌ بخطِّه.

[**وفيها** في جُمادى الآخرة توفي زين الدين، أبو البركات، داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب، البغدادي، المدبر بمجالس الحكام بدمشق، وكان شيخاً مُعَمَّراً، مولده ببغداد منتصف المحرم سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة، يروي عن أبي الوقت وغيره. سمعتُ عليه «صحيح البخاري» سنةَ أربعَ عشرة وست مئة، ويروي أيضاً هو وأخته حفصة عن أبي الفَضْل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي، رحمهما الله][1].

وفيها توفي الشيخ عتيق بن[2] .. الأندلسي.

ومولده سنة ست عشرة وخمس مئة، عاش مئة سنة، ودفن بمقابر الصُّوفية على حَافةِ الطَّريق، وكان شيخاً صالحاً مشهوراً، زرتُهُ في مرضه مع شيخنا أبي الحسن السَّخَاوي رحمه الله، وطلب لي منه الدعاء، فدعا لي، ووجدتُ بركةَ دعائه، وكانت له جنازة حَفْلَة.

[**وفيها** يوم السبت ثالث عشر جمادى الأُولى توفي الحافظ عماد الدين أبو القاسم علي بن الحافظ بهاء الدين أبي محمد القاسم، ابن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسن الدمشقي، خرج عليه قومٌ، فجرحوه بالقُرْب من

(١) ما بين حاصرتين من (ك)و(ع) و(س)، ويبدو أن أبا شامة قد كتبها في جزازة طيارة، في ترجمته، وأضافها ناسخ في هذا الموضع، والله أعلم. وقد سلفت ترجمته ص ٣٢٠ من هذا الجزء.

(٢) في النسخ الخطية ما عدا (س): بياض، وفي (س): عتيق بن سلامة بن [بياض].

خانقين في توجهه للسَّماع بتلك البلاد، ثم حمل إلى بغداد، فتوفي بها، ودُفِنَ بالجانبَ الغَرْبي منها بمقبرة الشُّونيزية، رحمه الله، ومولده في ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمس مئة.

قال: أنشدنا الخُشُوعي، أنشدنا ابنُ الأَكْفاني في المَرْوَحة:

ومَـرْوَحَـةٍ تـروِّحُ كـلَّ هَـمٍّ ثـلاثـةَ أَشْـهُـرٍ لابُـدَّ مـنـهـا
حـزيـرانٍ وتـمُّـوزٍ وآبٍ وفي أيلولَ يغني اللهُ عنها][1]

ثم دخلت سنة سبع عشرة وست مئة

ففيها نافقَ الأميرُ عماد الدين بن المشطوب على الملك الأشرف، وعاث في أرض سِنْجار، وساعده صاحِبُ ماردين، فسار إليه الأشرف، فدخل ابنُ المَشْطُوب إلى تل أعفر، فأنزله بدر الدين لؤلؤ صاحب المَوْصِل بالأمان، وحمله معه إلى الموصل، ثم قَيَّده، وبعثَ به إلى الأشرف، فألقاه الحاجبُ عليّ في الجُبِّ، فماتَ بالقَمْل والجوع[2].

وكان نورُ الدِّين بن عماد الدين صاحب قَرْقِيسيا مع الأشرف، فكاتَبَ عليه، واتفق مع ابنِ المَشْطوب، فاعتقله الأشرف، وبَعَثَ به مع العَلَم قيصر المعروف ١٢٢

(١) ما بين حاصرتين من (ك) و(ع) و(س)، وفي الأصل: وفيها يوم السبت ثالث عشر جمادى الأولى توفي الحافظ عماد الدين أبو القاسم علي بن عساكر، وقد تقدم ذكر وفاته، وقال: إنه مات يوم السبت ثالث جمادى الآخرة، وقال الحافظ: أنشدنا الخشوعي، أنشدنا ابن الأكفاني في المروحة:

ومـروحـة تـروِّح كـل هـم ثـلاثـة أشـهـر لابـد مـنـهـا
حـزيـران وتـمـوز وآب وفي أيـلـول يـغـني الـلـه عـنـهـا

قلت: وهذه الزيادة ليست في (ب)، ويبدو أن أبا شامة أعاد ترجمته في جزازة طيارة، واختصرها ناسخ الأصل، والله أعلم. وانظر ص ٣٢٣ من هذا الجزء.

(٢) كانت وفاته سنة (٦١٩ هـ)، انظر ترجمته في الكامل لابن الأثير: ١٢/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣، وفيات الأعيان: ١/ ١٨٠ ـ ١٨٢، مفرج الكروب: ٤/ ٧١ ـ ٧٢، الوافي بالوفيات: ٧/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦.